أديبات:

أرسلت «باحثات» إلى عدد من الأديبات اللبنانيات
السؤال التالي: «لمن تكتبين»؟ وهنا الإجابات:

الكتابة ـ هذا العمر

هناء الأمين خاتون

هل آن لنا أن نقول أشياءنا كالضوء الساطع من تحت مجهر وأن نحلل بكثير من العمق هذا النوع من التحديات الوجودية بكثير من الحرية رغم المحمول الاجتماعي الضيّق الذي ما زلنا نربض فيه؟

العنوان يبدو إستفزازياً وهذا ما كنت أطمح إليه وما يشدّني غالباً أنا الموقعة أعلاه. الأشياء الصعبة لا تطفو. وكل شيء يتمسرح حول السؤالين الأزليين. لماذا؟ ولمن؟

لمن أكتب؟

لا شيء تحكمه ويحكمك. باستيعاب مثالية مطلقة، الأطر خاصة جداً نعم. هنا التميّز. وأنا أدق الأبواب الموصدة والنوافذ المغلقة. أطوف الأرجاء الواسعة من بصيص الأشعة الخافتة خلال الشقوق الكثيرة التي نسجتها بأظافري؟

لمن أكتب؟

عودة بانورامية رؤيوية للوسط الاجتماعي بكلّ طقوسه وأنماطه المادية والمعنوية. عودة للتصورات الدينية والدنيوية بكل أنواع الوهم والتخيّل والتحليل لوضع المرأة، الحامل دلالات المدّ والجزر اللذين كانا يتجاذبانني على صعيد النشوء والتطور ومراحل التكوين العقلي والنفسي والجسدي، وعلى صعيد هذا الكيان المتكامل: الإنسان ـ المرأة. لأن ثمة تفاوتات وعوامل تغيريّة من مرحلة لأخرى، وعوامل إستمرارية تميّز هذه عن تلك. أقصد هذه الروح الخفية، الروح المحرّك التي لا يمكن أن تغفل الجسد الذي هو في الوقت نفسه مبرز هذه الروح. هذا الجسد الفيّاض. مركز القوة والعقل، وهو نفسه الجسد الانسلالي الذي كان ممنوعاً [**بالثوابت**]. حيث يمنع وصفه ويخطر التعبير عنه. هو جسد «هارون رشيدي» إذا شئتنّ ـ الحاضر الغائب ـ الممنوع التعبير عنه لفظياً أو حسيّاً بحسب الثالوث المقدس المحرّم (الدين ـ الجنس ـ السلطة) وهذا الجسد

هو رمز الأنوثة وهو معنى الحياة بل وأصلها. كل شيء حولي كان يختزل الحقائق سواء في مكوّناتها الاجتماعية أو الدينية أو التاريخية. مبرزاً الوهم ومستمراً في تأصيله في الواقع ومحاولاً تغييب هذا الواقع بكبتِ قوى الجسد وقمعها. حتى غدا الجسد الأنثوي مغرَّباً عن كيانه، من خلال تغليفه بكل ما يمنع النشاط الإبداعي للمرأة بل الكف تقريباً عن الحضور الممتلىء. [هذا الحضور ـ الغياب] تلك هي المسألة.

فكيف لي السلوك المتكامل؟ كيف توحيد العنصر الروحي والجسدي والوصول أو محاولة الوصول إلى طرح هذا السؤال ومعرفة اتجاهات توغّله؟ أنا بحاجة إلى جسد متحرر من الطواطم والسلطة الذكورية بكل أشكالها المختلفة. لأتوصّل إلى إبراز كياني غير المكرّر وغير النسخي وغير المشوّه لأتجلى إبداعياً وأنا أعلم أن الجسد الذي يغلق على مشاعره وأحاسيسه أي على أناه دون معرفة هذه الأنا (لأنها مهمة في عملية الإبداع) يفقد هويته ويفقد تاريخه وهذه هي حال المرأة العربية بشكل عام. فالكيان المغيَّب يتكلم الغيب أو الميتافيزيقي. والمتكلم (أياً كان نوع الكلام) يلزمه حيّزاً من الزمان والمكان، والجسد المغلف يدور في فلك أناه فقط. يمحو المحسوس واليومي والتفاصيل الزاخرة، يخاف الصراع والتحدي والهجوم. فيستهلك محمولاً بشعارات كبرى حدّ الأسطورية واللاأرضية. فهذه الطاقة المتفجرة فيّ والتي كانت كامنة منذ الصغر، هذه النواة التي كبرت تاركة في كل شريان موقعاً وأثراً. لن ينغلق الشكل عليها، ولن تكتفي بذاتها وكنت أعلم هذا. تريد مشاركة فضاء أرحب ومدى أوسع بل على مصراعيه. أي إلى وضع تبادلي ـ إتصالي. فعندما يفيض الأثر فيك لا بدّ من سبيل إلى إبلاغ هذا التفاعل الحاصل بين الكاتب والكون أجمع فكيف بالشاعر، وبصورة أخص وأدق إذا كانت امرأة تملك مخزوناً أكبر من الرقة والشفافية. وتريد فعلاً أن تحطم كل الحواجز المختلفة بفرض وجودها على كل الصعد. لذلك، كانت الكتابة بالنسبة لي [على الأقل في البدايات الأولى] تلقائية وعفوية. هي إحساس يعبّر عنه فيتوزع وينتشر ليعود صافياً هائماً في مطلق أي شيء ضمن الحيّز المسموح له والذي أقصيت حدوده التي كانت موجودة بفعل القمع وكل الأشياء المسموح بها وغير المسموح.

في الحقيقة ما كنت لأعرف لمن أكتب لمن بالتأكيد كنت واعية إني أكتب لنفسي. وإن هذا الفعل هو دعامة وجودي الآخر الذي يختص بفرادة كياني. وإنني دائمة الحضور لمحاولة اكتشاف فعل الكتابة [والكتابة الشعرية مراحل زمنية].

في الحقيقة كنت منغمسة في الطبيعة الخارجية.

في الأشخاص المقربين جداً. العائلة ـ الأصدقاء ـ القرية ـ الطبيعة ـ الحاكورة ـ الغروب ـ دالية العنب وكانت هذه المحاور جزئيات غائمة من أشياء عميقة لا أعرف منتهاها سوى إنني أذوق عبرها ثمراً جنياً يهزّني ليهطل القلم حزناً أو فرحاً أو حنيناً، كتابة هي ـ كتابة ما. على سبيل الافتراض وعدم الرضا أحياناً. ولكن أتلمس يقيناً خلال كل هذه المراحل أن هذا القفر سيتحول

يوماً ما إلى بستان حتى أعماق الموت الذي انزرع حولي متناسلاً أسبابه الكثيرة من وجداني وفكري. والكتابة عندي هي كتابة فكر لكن من قلب. والقلب ذاكرة الوجود. والضَّنَى كان في طريقة الوصول لإخراج الكتابة من اللوحة الضيقة إلى المدى الأرحب إلى الفجر الساطع إذ لا يمكن للكتابة أن تمارس كعادة سرية. لا يمكنها أن تكون سجناً يكرّس محرقة الكاتب. لا بد من مسار جدّي وحقيقي لهذا الطوفان الذي يغلي بداخلي. لا بدّ لهذه القوة من إنوجاد بالفعل.

ولا سبيل لذلك إلا بعدم الخوف وبإلتقاط الكيان المتكامل ورميه حراً في أرجاء العالم كُله. فالكتابة صنو الحرية. وهكذا كان. من وعي الفعل. أنا وجودية [مع العلم أننا لا نستطيع محو الأنا ولو بشكل غير شعوري] وكنت لا أزال سعيدة بهذا الشعور يمنحني إكتفاء معيناً ومعنًى خاصاً لوجودي وإستمراريتي في هذا التواصل ربما الخفيّ مع وجدان العالم حولي أحياناً، والمعلن والمعبر عنه خلال القصائد أحياناً أخرى. فالقصائد أي مادة الكتابة هي كينونة وجود تتوزع نطقاً في رحم الكون. فالعواطف الإنسانية هي نفسها منذ الأزل بكل تفرعاتها وأسرارها والذي يحرث دواخله كأنما يحرث دواخل نفوس كثيرة. التجربة فقط التي تختلف بحيثياتها الخارجية وهنا ميزة المبدع. لكنها الكتابة هذه الحياة التي تفيض من نفس لتصل وتتصّل بكل النفوس. هي حمل ومخاص وولادة حقيقية.

وبعد كل الذي ذكرت إنني أكتب لكل إمرأة خائفة. لكل إمرأة أقفلت دونها الشمس، لكل أمرأة عاشقة، ومن خلال إنسانيتي الخاصة أحاكي الإنسانية كلها. وأهزّ قليلاً كيان المرأة الشرقية أن لا تخافي. لكن يقيناً كتابتي غير موجهة لامرأة تسوّي زينة الصباح وتريد أن تتسلى بقراءة الشعر. كتابتي مُوجّهة إلى إنسان فكر، مثقف إذا شئتن، نعم أكتب لنخبة تستطيع أن تستوعب لغتي. كأسلوب ومضمون.